مواقف العلماء مع الفتن

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله و سلم على نبينا محمد ، و على آله و صحبه أجمعين ، سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا ، إنك أنت العليم الحكيم . سبحان الله و بحمده ، سبحان الله العظيم .

سبحان من يعفو و نهفو دائماً   و لا يزال مهما هفا العبد عفا

يعطي الذي يخطي و لا يمنعه   جلاله ، عن العطا لذي الخطا

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وصفيه وخليله وخيرته من خلقه فصلوات الله وسلامه عليه، دلنا على قول الخير بفعله، وفعل الخير بقوله.

المصلحون أصابع جمعت يداً   هي أنت بل أنت اليد البيضاء

أخوك عيسى دعا ميتاً فقام له   وأنت أحييت أجيالاً من الرمم

اللهم صل و سلم ، و زد و بارك ، و أنعم و أكرم على نبينا محمد ، أما بعد :
لن أتحدث عن العلماء الأقدمين ، بل سأتحدث عن العلماء المعاصرين ، ممن رأيتموهم ، أو جالستموهم ، أو سمعتم لهم ، في أحداثٍ مرت ببعضكم ، فاستعين بالله –عز وجل و أذكر قبل ذكر مواقف بعض أهل العلم ، أتحدث عن معالم في الفتن . ثم لماذا تم اختيار هذا الموضوع ، و مواقف و قصص متفرقة .

الأول :

الفتنة هي : الاختبار و الابتلاء ، و تكون الفتنة بالخير و الشر ، يقول ﷻ : ﴿ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ [الأنبياء:٣٥] . تكثر الفتن في زمان أكثر من غيره ، و ربما في مكان أكثر من غيره ، و ربما في بعض الحالات دون بعضها .

و من حالات الفتن : فقد العلماء ، فإذا فُقد عالم ، فإنه لا يوجد علماء ، فتكثر الفتن في مكان و في زمان ما ، و في حالٍ من الأحوال ، و قد جاء من أشراط الساعة ما مجموعه عن النبي ﷺ ، من مجموع أحاديث في أشراط الساعة ، في الصحيحين و غيرهما ، **من ذلك** :

كثرة الجهل ، قلة العلم ، موت العلماء ، حتى إذا لم يبقى عالماً ، اتخذ الناس رؤوساً جُهالاً ، فسئُلوا ، فأفتوا بغير علمٍ ، فضلّوا و أضلَّوا ، و كثرة الفواحش .

و الفتن على نوعين : فتنة المحيا ، و فتنة الممات .

و هي على نوعين أيضاً : فتنة الشهوات ، و فتنة الشبهات .

و من الفتن : التباس الحق بالباطل ، و كثرة الاختلاف في المسائل الشرعية و العلمية ؛ المؤدية للافتراق والتقاطع والتهاجر ، ثم التبديع ثم التكفير.

فإذا اختلف شخصان فأكثر ، كلٌ منهم يذكر إما شبهَة أو حجه ، أو قول أو دليل ، هو في نظره ينطبق على الحالة ، ثم يبدع الاخر أو يكفره ، ثم يستحلُّ دَمَهُ ، ثم يقتله . و يستحل عرضه ، فيتكلم عليه . و هذه بلا شك من الفتن ، نعوذ بالله من الفتن .

أما موقف المسلم من الفتن ، فيكون بطرق كثيرة لاجتنابها . و ما له علاقة بموضوعنا هنا : الرجوع للعلماء .

فإذا حلّت فتنة الشبهات أو الشهوات ، فالمرجع يكون للعلماء .و يكون ذلك : بتمكينهم ، و الصدور عن رأيهم ، و نشر أقوالهم بين الناس ، و تبني فتاويهم . فإن لسان حال العلماء في هذه الحالة ، يقول :

ترى الناس ما سرنا يسيرون خلفنا   وإن نحن أومأنا إلى الناس وقّفوا

و هذه حالة العالم ، و لو لم يقلها بلسان المقال ، فهذا هو لسان الحال.

فالعلماء ورثة الأنبياء ، و الأنبياء لم يورثوا ديناراً ، و لا درهماً ، و إنما ورّثوا العلم . يقول الحسن البصري –رحمه الله– : (لولا العلماء لصار الناس مثل البهائم) .

الثاني :

هل للعالم أن يعتزل الناس و لا يلتقي بهم ، ولا يراهم إلا في الجُمع و الجماعات ، والجنائز و الواجبات ، و ما بقي فيعتزلهم ؟

هذا الأمر يعود للمصلحة و المفسدة ، و كل عالمٍ أدرى بنفسه ، و صاحب البيت أدرى بما فيه . و خير من ذلك كله قول الله ﷻ : ﴿بَلِ الإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ [القيامة:١٤] . فهذا يرجع للعالم حسب الزمان و المكان ، و الحالة ، و المصلحة و المفسدة . فالعلماء يقدرون هذا .

و نحن ، ما موقفنا تجاه الفتن مع وجود العلماء ؟

و إن وجدت الفتن من غير وجود علماء ، أو لو وجد العلماء والفتن كثيرة، فما موقفنا ؟

هذا ما ستتعلمه من خلال النماذج و التطبيقات من سير العلماء .

كلما مرت بهذه الأمة فتنة من الفتن ، أو البلايا و المحن ، و الرزايا عبر تاريخيها ، كان العلماء هم طوق النجاة ، و سبيل الخير ، وصمام الأمان ، و القدح المعلى ، و طريق الأمن من الزيغِ ، و الفتن ، و الضلالات. و ليحذر الشاب و الكبير من احتقار العلماء .

فإن بعض الفتن لو حدثت في زمن عمر ﷺ لجمع لها أهل بدر . فليحذر الشخص من احتقار العلماء ، و نبذهم ، و ترك الرجوع إليهم ، فإن أول طريقٍ للخوارج هو إسقاط جيل العلماء من الصحابة ، فلما أسقطوا جيل الصحابة ، بدئوا بالتكفير ، و استحلال الدماء و الحرب . لأنه هان عليهم إسقاط مَن دونهم ، و هذه طريقة الخوارج ، و المستشرقين ، و أعداء الإسلام . فأول ما يبدؤون به بالعلماء ، لأنهم لا يجرئون على الكتاب و

السُنة ، و لا على الصحابة . فيبدئون بالعلماء ، ثـم شـيئاً فشـيئاً يصـلون إلى معاوية ، ثم بعد معاوية ﷺ يذكرون غيره .

ومن سبر الواقع وجد صدق ما أعني . فإذا نشأ الناس على القدح بـالعلماء و تنقصهم ، صاروا لا يثقون بأحد ، ثم صدّروا الجُهال ، ثم بعد ذلـك إذا تكلم الجاهل الذي لا يرتضونه ردُّوه .

الثالث :

الرفق و التأني مطلب إذا أشرفت الفتنة على المسلمين . فقـد ينـدفع بعـض الناس لمسألة ،أو لأمر ما ، و العالم يرى التريث و الصبر و الحكمـة . و إن كان بعض الناس ربما يحتقر ، و يحقّر رأي العالم إذا قيل لـه : إن هـذا العـالم عنده حكمة . فقد يتراءى لـك الشيـء أنـه عـين صـواب ، ثـم بعـد ذلـك تتراجع أنت عن قولك . هـذا شيءٌ يخـتص بمرغوباتـك و محبوباتـك ، في المطعم ، و المشرب ، و المأكل ، في اختيار اللباس ، أنت تغير رأيك . فكيف بك لا تريد أن يتراجع العالم ؟ يقول قولاً ، أو يفتي بفتوى ، ثـم بعـد هـذه الفتوى ربما تهدر دماء بسببها .

و تصور أخي الكريم ، أنك مرجع من مراجع المسلمين ، وحصلت بعـض الفتن ، و تخشى أن يراق دم بسببك . هل تُقـدم عـلى القـول أو الفتـوى أو الحديث في هذه الأمور ؟

الرابع :

على المسلم أن لا يتسرع في إنزال نصوص الفتن و أشراط الساعة على ما يريد ، وعلى من يريد .

فقد يكون الحديث ضعيفاً ، فيحتج به بعض الناس ، و ينزّل بعض الوقائع و القصص على بعض الواقع ، و الحديث في الأصل ضعيف . و قد يكون الحديث صحيحاً ، لكنه مضى ، انتهى .

الخامس :

من المعالم : البعد عن أماكن الفتن ، و أن لا يحضرها ، و لا يشارك بلسانه أو بقلمه ، و لا بماله . وليحذر من الإشاعات .

السادس :

الناس بحاجة للعلماء الربانين في كل وقت ، خاصةً عند الفتن . فلا يُعرف قدر العالم إلا إذا فقد ، أو إذا جاءت فتنة تلو الأخرى في عدم وجود عالم .

وللعلماء طرق و أساليب في نشر دين الله ﷻ ، والذبِّ عن شرعه سبحانه .

و لا ينبغي للعالم أن تمر الأحداث تلو الأحداث ، والفتن والأزمات ، و الأمورٌ المخيفة ، و هو يتفرج ، ينتظر منه الناس قولاً ، أو فعلاً ، أو مقالاً ،

أو خطبـةً و بيانـا ، وهـو لا يفعـل شيء ؛ بحجـة العزلـة ، و إن كـان عالمـاً يُخالف في هذه الفتنة ، إلا ما ورد عن الصحابة ﷺ في اعتـزال الفتنـة التـي حصـلت بـين بعضـهم . و أمـا مـن حـدث معهـم ذلـك الشيء، فعلـماء مجتهدون. و من اعتزل كذلك .

و على الناس الرجوع للعلماء عند الفـتن ، و معرفـة مـن هـو العـالم حقّـاً ، فالواجب علينا أن نفرق بين العالم و الواعظ ، و مقدم البرامج ، و المنشـد ، و القارئ ، و الواعظ و الخطيب المـؤثر ، فـلا نخلـط هـذا بهـذا ؛ لأننـا إن خلطنا هذه الأمور فسينشأ ضبابية على شيءٍ من شبه السراب على العامّـة ، فيتبعون شخصاً مؤثراً ، لا من ناحية العلـم ، و لا لأنـه يسـتفتى ، و لا أنـه يُرجع إليه ، إنما لشهرته . فعلينا أن نعرف من هو العالم حقاً .

و السؤال الذي يجب أن يطرح هنا : كيف نعرف العالم ؟

نعرف العالم من سؤال العلماء ، و من طريقته و أسلوبه ، و كلامه و فتاويه ، و من حالته . و العالم يعرف العالم ، و لا يعـرف صـاحب الصـنعة إلا مـن كان مثله .

السابع :

و واجب العلماء علينا : أن ندافع عنهم ، و نذب عن عرضهم ، و نلتمس لهم الأعذار .

فقد يتكلم العالم بالمسألة ، ونحن لا نعلم أصلاً . قد يكون العالم قد ناصح الحاكم ، الملك ، أو السلطان ، و أنكروا عليه ، و ليس من الحكمة أو مما يناسب أن يخبر العالم الناس بما فعل ، و كيف ناصح ، و ماذا قدم بينه و بين الحاكم ، أو بعض الأمور للأمة ؛ لأنها قد تكون سبباً لافتيات بعض الناس على العالم ، أو الحاكم . فقد يتكلمون و لا نعلم بذلك ، أو يسكتون تفادياً لما يكون أعظم فتنة .

الثامن :

السكوت على الفتنة التي كانت بين الصحابة من مسلمات عقيدة أهل السُنة و الجماعة . فهي كما قال الإمام الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز ﵁ : (فتنةٌ سلم الله منها سيوفنا ، فعلينا أن نسلم ألسنتنا) .

التاسع :

من صور الرجوع للعلماء عبر التاريخ ، ما كان من إنكار العلماء على قوم موسى ﷺ لما انبهروا بمال قارون .

كذلك بعد وفاة النبي ﷺ حصلت فتنة . و رجع الناس لأبي بكر رضي الله عنه . و أبي بكر أقنع عمر رضي الله عنه ، فرجع عمر عند التباس الأمر عليه في قتال المرتدين . و كان يقول : كيف تقاتلهم ، و قد قالوا : لا إله إلا الله ؟
و عمر رضي الله عنه عالم مُحدّثٌ ، مُلهم ، رجع لمن هو أعلم منه . فيقول عمر رضي الله عنه : فما رأيت إلا أن الله شرح صدر أبي بكر ، فعرفت أنه الحق.

و من ذلك إرسال علي رضي الله عنه لابن عباس رضي الله عنه لمناقشة الخوارج ، فرجع منها ثلث الجيش .

كذلك نقاش عمران بن الحصين رضي الله عنه لشخصٍ لا يحتجُّ بالسُنة أبداً ، و لا يراها . فقال له عمران رضي الله عنه : هل ترى في كتاب الله الظهر أربعاً ، و العصر أربعاً ، و المغرب ثلاثًا ؟ أين لك ذلك من كتاب الله ؟
فقال الرجل : شفيتني ، شفاك الله . فتاب ذاك الرجل على يد عالم ، عالم مخلص رضي الله عنه .

و من ذلك رد ابن عمر على (القدرية) ، لما خرج أُناسٌ في العراق ، يرون أن لا قدر ، و أن الأمر أنف ، ينفون بذلك القدر. فجاء رجلان كما في صحيح مسلم . فسألا ابن عمر ، اكتنفاه و هو يطوف ، أحدهم عن يمينه

و الآخر عن يساره . فسألاه عن هؤلاء الناس ؟ فقال ﷺ : أخبرهم أني بريءٌ منهم ، و أنهم برئاء مني حتى يؤمنون بالقدر . ثم ذكر الحديث ﷺ .

و من ذلك صبر الإمام أحمد في الفتنة ، في فتنة خلق القرآن . فنصر الله به السنة .

العاشر :

من المعالم ، و من طرق العلماء في الفتن : أنهم يحذرون من بعض الشخصيات ، فعلى سبيل المثال :

الشيخ العلامة عبد الرحمن الدوسري –رحمه الله- : كان يحذر من جمال عبد الناصر ، و كان يحذر من حافظ الأسد ، حتى أن الشيخ –رحمه الله- كان يحذر منه في وقت افتتان بعض شباب بلادنا في ذلك الزمن .

و كان الشيخ يحذر منه في المحاضرات ، في الخطب ، في المجالس ، حتى قام بعض أقارب الشيخ ، فهمّوا به أن يؤذوه ؛ من فتنتهم بجمال عبد الناصر.

فما هو إلا وقت قليل فخذل الله جمال عبد الناصر ، و قد آذى المسلمين في أمورٍ كثيرة .

و كذلك التحذير من حافظ الأسد . فالشيخ محمد الأمين الشنقيطي صاحب (أضواء البيان) يقول : أعوذ بالله من ضابطٍ سوري ، اسمه حافظ ، أخشى أن يأتي للمسلمين بشيء أو بفتنة . فما هو إلا وقتٌ قليل بعد موت الشيخ محمد الأمين عام ١٣٩٣ هـ بسبع سنوات حصل لأهل (حماه) ما حصل من حافظ الأسد .

و من ذلك الوقوف مع المسلمين في مآسيهم ، فعلى سبيل المثال : سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز –رحمه الله– يتتبع أخبار العلماء ، و أهل البلاد ، و كل ما زاره شخص من بلد سأله عن حالتهم و علمائهم ، و الدعوة بينهم ، و يسأل حتى عن ما حصل لهم من مطر و غلاء الأسعار ، و كل ما يتعلق ببلدهم .

يقول بعض الأشخاص: يسألني الشيخ كأنه يعرفني منذ سنين ؛ لاهتمامه بأحوال المسلمين . و ربما تُقرأ عليه قصيدة ، أو يقرأ عليه في التاريخ مما حصل للمسلمين في بلاد الأندلس فيبكي . و قد قُرئت عليه قصيدة أبي البقاء الرندي ، و هي :

لكل شيء إذا ما تم نقصان فلا يُغر بطيب العيش إنسانُ

فما تمالك الشيخ نفسه ، فأجهش بالبكاء –رحمه الله تعالى– .

فكان يقرأ عنهم ، يتتبع أخبارهم ، يرسل لهم المال ، الكتب ، النصائح ، و يوصيهم بالتآلف ، و يناصح الحكام بالرسائل الخاصة .

أرسل لجمال عبد الناصر ، أرسل للقذافي ، أرسل لصدام ، و رسائل كثيرة موجودة في كتب الشيخ و فتاويه ، و في الرسائل الجامعية . فلا تخفى على أحدٍ ، إلا على أحدٍ لا يعرف القمر رحمة الله على ذلك الرجل .

هم الرجال وعجزٌ أن يقال لمن   لم يتصف بمعاني وصفهم رجل

و كَتب الشيخ أيضاً لحكام إيران إبّان الحرب الدائرة بين إيران و العراق . كتب للخميني ، يذكّره بالله و يناصحه . و كتب لصدام يذكّره بالله و يناصحه أن هذه الحرب الدائرة ما هي إلا بلاء و فتنة للمسلمين ، و إهدار للدماء .

و مات الشيخ ، و عليه ديون بالملاين . و قد سأله مدير مكتبه الشيخ محمد الموسى -رحمه الله- مرةً من المرات ، قال : يا شيخ ، ترى عليك أربع ملايين الآن ديون . قال الحمد الله : من طلعت من بطن أمي و أنا الحمد لله ما افتقرت و لا طالبت أحد من الناس . الله ﷻ يقضيها. فما هي إلا أيام و قضيت . و هي لأحوال المسلمين . هذا نموذج من النماذج الرائعة في هذا العصر.

التأليف و كتابة الرسائل

كتب العقيدة التي ألفها على سبيل المثال شيخ الإسلام ابن تيمية ، و ردوده على الطوائف و المخالفين . و كذلك ابن القيم ألف الكتب الكثيرة ، و ما قام به الشيخ الألباني من الردود على أهل البدع و المبتدعة . و النماذج كثيرة في هذا الباب ؛ حتى ما يظن ظانّ أن العلماء يذكرون باباً و لا يذكرون الآخر .

وكتب الردود موجودة منذ وقت مبكر ، مع الحرص على التعليم ، و طلب العلم ، و الحث على ذلك ؛ لأنه يُسمع بعض الناس يقول : الناس صعدوا القمر ، و الأمة تقتل ، و أنتم تدرسون حدثنا و أخبرنا ، و تدرسون المسائل الفقهية . و هذا الشخص المُنكِر المعترض الآن لم يصعد القمر ، و لم يدافع عن المسلمين ، و لم يدفع شيئاً ، و ربما لم يقم لصلاة الفجر ، و ينكر على العلماء و طلبة العلم الجلوس في المساجد لطلب العلم.

ومن المؤكد أن من أهم أسباب انتصار الأمة : العلم و طلب العلم . ففي عزوة تبوك كان الصحابة ﵃ يسألون النبي ﷺ عن مقدار السترة في

الصلاة ، و ذلك في غزوة تبوك ، و القصة في صحيح مسلم ، هـذا السـؤال كان من الصحابة ﷺ من الفقهاء و العلماء .

مثالٌ آخر: لما انطلقت الحروب الصليبية ، و أراد أن يردها صـلاح الـدين ، كان من أهم ما اهتم به و حرص عليه : إنشاء المدارس العلمية و الأوقـاف لشتى المذاهب ، حتى الحنابلة . ففي بلاد الشام أنشأ تسعين مدرسة فقـط ، و لما تعلم الناس قاموا بالجهاد .

و كذلك عبد الحميد بن باديس -رحمه الله- من علماء الجزائر ، فسر القـرآن كاملاً في الجامع الكبير في الجزائر ، و لمـا انتهـى دعـا النـاس للجهـاد ضـد الفرنسيين فقام الناس معه .

ترى الناس ما سرنا يسيرون خلفنا و إن نحن أومأنا إلى الناس وقَّفوا

فالاستمرار في العلم و تعليمه و طلبه ، و حلقات الدروس و المسـاجد ، و حلقات القرآن ، هذه من أسباب نصرة الإسلام و المسلمين ؛ لأن الناس في الفتن يحتاجون للعلم إن اختلفوا في قضية من قضايا الفـتن أو الاخـتلاف في الدماء ، أو القتل ، فيحتاجون للعلماء ، و إن كانت معهم الكتب ، و لـو كان معهم أدوات البحث و وسائل التواصل ، إلا أنهـا لا تغنـي في وقـت الفتن ، و انقطاع التواصل ، و وسائل التواصل ، مـا يبقـى لهـم إلا العـالم . فالمشاريع العلمية والدعوية والتعليمية مستمرة حتى وقت الفتن .

فليسَ علماً ما حوى القِمَطْرُ   ما العلمُ إلاَّ ما حواه الصدرُ

و مثالٌ من الأمثلة الطيبة : الشيخ عبد الرحمن السميط –رحمه الله– على كثرة ما أثير حوله من ضجة . قال بعض الناس للشيخ : أن الشيخ يدعو إلى الله تعالى ، و ليس من العلماء . و يُذكر عنه في محاضرة في إحدى الجامعات في الرياض قال : أنتم يا أيها العلماء ، اذهبوا معي لتعليم الناس في أفريقيا. أثيرت حوله ضجة ، و أتهم بالإرهاب من أمريكا و فرنسا و غيرهم ، و ممن دخل إلى الإسلام بسببه –رحمه الله–، و قد ذكر ذلك في آخر حياته في بعض اللقاءات ، خمسة ملايين شخص ، ممن أسلموا عن طريق هذا الرجل –رحمه الله– .

و كذلك قريباً من هذا الخطاب ، تحدث الشيخ أحمد ديدَات–رحمه الله– ، و قد شاهد الشيخ ابن عثيمين مناظرات الشيخ أحمد ديدَات ، فأعجب بها ، و قال : هكذا المناظرة .

الحادي عشر:

مواقف العلماء في الفتن في باب الشهوات كثيرة ، منها : الرد على من حلل الربا ، و من تحايل على الربا .

من ذلك أن شخصاً يدعى محجوب أحمد ، خطيب جامع في جدة ، و قد ذكرته ؛ لأن الكتب ذكرته ، و الرد عليه مبثوث في الصحف السعودية

القديمة . فمحجوب أحمد أباح الربا صراحةً على المنبر ، فرد عليه الشيخ عبد الله بن حميد بمقال .

و كذلك الشيخ عبد الله بن حميد –رحمه الله– رد على من تهجم على هيئات الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر ، و التهجم على الهيئات من قديم ، ليس بشيءٍ جديد ، و إلقاء التُّهم و الشائعات ، و الكذب عليهم . فتجدون أن العلماء يناصرونهم إما بفتوى ، أو نصيحة عامة للمسلمين .

و من العلماء البارزين أصحاب المواقف في هذا الشأن ، الشيخ عبد العزيز بن باز . من ذلك أن الشيخ لما كان قاضياً في الخرج ، رتب مع أمير الخرج و الدلم بعض الترتيبات حول ما يتعلق بالصلاة ، و منع الرجال السهر بعد العشاء خارج البيوت . فزالت كثير من المشاكل الأسرية من قاضي البلد سماحة الشيخ –رحمه الله تعالى– ، و ذلك بالترتيب مع الهيئات.

و كذلك للشيخ عبد الله بن حميد مقالة نقد مساواة الرجل بالمرأة .

و كتب الشيخ عبد المهيمن أبو السمح ، إمام الحرم المكي و هو مريض – رحمه الله– في مرض موته ، كتب للشيخ ابن باز قائلاً :

(سمعنا كلمة الملك فيصل حول ما يتعلق بنصرة الإسلام و المسلمين ، و التضامن الإسلامي . فلتبدءوا مع الملك ، و أنتم العلماء مع الملك و المسئولين بتنظيف الإعلام و المناهج و التغريب ، و محاربة التغريب ، حتى الأغاني نُصوا عليها ، و تحريم بيع المجلات الهابطة) ، و الشيخ عبد

المهيمن له شأن ، من علماء مصر ، و هو إمام الحرم ، و هو ابن عم الشيخ عبد الظاهر أبو السمح ، و كلاهما إمام الحرم .

و في خطبة للشيخ ابن عثيمين –رحمه الله– و هي موجودة مشهورة . و كذلك عدة كتب للشيخ العلامة بكر أبو زيد –رحمه الله– يبين خطورة المدارس الأجنبية ، و دخولها لبلادنا وتاريخها ، وعموم خطورة المناهج أصلاً ، و غيرها من الكتب للشيخ حول ما يتعلق بالشهوات .

و كذلك خطبة للشيخ عبد الرحمن السعدي تحدث فيها عن تحريم التدخين. و كذلك مقال للشيخ صاح البليهي عن تحريم التدخين .

الثاني عشر :

من مواقف العلماء عند الفتن : مناهضة البدع و التحذير منها ، و من المبتدعة ، كبدعة المولد . و قلما يوجد عالم من علماء بلادنا و غيرها إلا و له كلام عن بدعة المولد ، إما بخطبة ، أو محاضرة ، أو درس ، أو فتوى ، أو مشاركة في فتوى ؛ لكثرة الفتنة ، أو لكثرة المفتونين بها عبر التاريخ . و من ذلك أن نابليون في الغزو الفرنسي لمصر كان يلبس الجبة الأزهرية ، و يحتفل و يرقص مع بعض مشيخة الأزهر في يوم المولد ، حتى سماه بعض المغفلين و الحمقى : عبد الله نابليون . و هو من باب الضحك عليهم .

فالعلماء تكلموا عن هذا ، و في ذلك أموال مرصودة خاصة من دول الاستعمار .

وصية الشيخ أحمد خادم الحجرة النبوية ، هذه الوصية المنتشرة منذ خمسين سنة تقريباً ، و العلماء يحذرون منها . فتظهر مدة ثم تختفي ، و بين فترة و أخرى تنتشر . و قد أتى بها شخص مرة عندي في المسجد بعض الصلاة ، و قال: انشرها لعشرة تجد ما يسرك !

و الآن تيسرت طريقة نشرها عبر وسائل التواصل يعني طريقة جديدة غير الورقة المكتوبة . فيقول : أن أحد التجار لم ينشرها ، فخسر تجارته . فقلت له : بسم الله . و مزقتها أمامه . فالعلماء يحذرون منها من قديم ، فالشيخ ابن باز أكثر من مرة يحذر منها بفتوى و تعميم للناس .

و من مواقف العلماء : التحذير من كتب المبتدعة ، ككتاب (دلائل الخيرات) ، و هو كتابٌ فيه ذكر صلواتٌ على النبي ﷺ حذرت منه اللجنة الدائمة ، و أمرت بسحبه من الأسواق ، و فيه مخالفات في الحج و العمرة ، و الجنائز ، و البدع في الطواف ، و المطوفين . و في شأنه كلامٌ كثير للشيخ الألباني و غيره .

و من مواقف العلماء في الردود على النصارى : جاء أحد القسيسين للبحرين ، فألف كتاباً فيه إثبات صحة الإنجيل ، فأعطاهُ حاكم البحرين ، و حاكم البحرين قال لجلسائه و العلماء الذين معه : ردوا عليه. فقرأوا

هذا الكتاب الباقعة بنظرهم ، دامغ و مؤثر في نظرهم . فما ردوا عليه ؛ ما استطاعوا .

فقال أحد الجلساء أو ندماء الملك أو الحاكم: إن أحد العلماء قدم من بلاد نجد ، لعلنا نعرض عليه الكتاب ، و الشيخ هو عبد العزيز بن حمد بن معمر –رحمه الله– ، أحد علماء بلاد نجد بعد سقوط الدرعية ، ترك بلاد نجد فرقاً . فقال لما رأى الكتاب : أمهلوني شهراً . فألف كتاب (منحة المجيب في الرد على عباد الصليب) ، و هو كتابٌ مطبوع ، يوزع في الإفتاء قديماً . فخلال شهر قام بالرد على ذلك القسيس. فلما قرأ الرد قال : هذا الرد ليس من عالمٍ ، ليس من أهل هذه البلاد . فهم يعرفون البلد و العلماء و عندهم دراسة ميدانية ، و ما المستشرقون و حملاتهم ، و رحلاتهم للبلاد ، و تعلم اللغات و اللهجات ، و اختلاف لهجات الناس ، و عاداتهم ، و طباعهم ، و لبسهم مثل لباسهم ، إلا لأجل كتابة التقارير التفصيلية عن بلاد المسلمين ، فهم يعرفون من الذي رد .

كذلك الشيخ أحمد بن عيسى رحمه الله– ، رد على رسالة (صحة ما في التوراة و الإنجيل) ، رد عليها الشيخ أحمد بن عيسى ، و هو من العلماء أيضاً من أهل هذه البلاد .

كذلك الوجيه التاجر مقبل الذكير ، من تجار البحرين . أنشأ نادياً ،ا سماه نادي (الرد على النصارى) ، هو يموله في وقت انتشار الحملات

التنصيرية بعد الاستعمار البريطاني لبعض بلاد الخليج. و إرسال المستشفيات ، و إرسال التنصيريين . فأنشأ هذا النادي للرد على النصارى ، و جعل الرئيس له العلامة الشيخ محمد بن مانع –رحمه الله– ، رئيس الدروس في الحرمين ، و كان من علماء هذه البلاد ، وكان قد ذهب لقطر فترة.

و كذلك للشيخ محمد بن إبراهيم رد أيضاً مختصر في الفتاوى (بيان ما في الإنجيل من تحريفٍ و تبديل) .

الثالث عشر :

من المعالم ، أو من مواقف العلماء عند الفتن : التعامل مع ما يتعلق بالمخالفات العقيدية .

في مجلة الأزهر ، صدر مقال لمحمد المدني ، سماه : (موقف الإسلام من أهل الكتاب) ، فرد عليه الشيخ صالح العلي الناصر ، و كان الشيخ الناصر من أقدم المفتين في برنامج (نور على الدرب) .

و في كوقف آخر : أحد الكُتَّاب اسمه : (القَبَّاع) ، ألف كتاب : (ثورة و بناء) ، يمجد فيه اليهود و النصارى ، و الوثنيين ، و المستشرقين . فرد عليه الشيخ عبد الرحمن الدوسري في ردود في المجلات ، و الصحف المطبوعة .

فامتدَّ الرد إلى مائة و ثلاثين صفحة . هذا رد في الصحف ، وكان الشيخ – رحمه الله– يتناول جزئية من كلامه فيرد عليه .

و من المخالفات العقدية : إنكار نزول عيسى عليه السلام آخر الزمان . تفوه بها أحد الكتاب . فرد عليه الشيخ عبد الله خياط –رحمه الله– ، إمام الحرم ، و القارئ ، و الفقيه ، و الواعظ ، و له ردودٌ مناسبة طيبة ، و تدل على قلمٍ عجيب منه –رحمه الله– . فرد عليه الشيخ بمقالٍ في صحيفة (الندوة).

و كتب كاتبٌ في صحيفة (صوت الحجاز) سبّاً و شتماً ، و لعناً على عام ١٣٥٠ هـ . و قال : إنه عام بؤس ، وعام لعنة ، و عليه اللعنات. فرد عليه الشيخ عبد الله خياط –رحمه الله– بأن هذا سبٌ للدهر ، و أتى بحمق هذا الكاتب ، و فنده نقطةً نقطة .

و في مقالٍ للشيخ عبد الله خياط أيضاً في مجلة الحج ، و هي تصدر في الحج و توزع على الحجاج عام ١٣٧١ هـ ، نقد قصيدة البوصيري (البُردة) ، نقدها نقداً مفصلاً .

و من الصور : أحد الكُتَّاب من الأدباء ذكر سيرة ﷺ ، ففي أثناء كلامه عن السيرة ، قال : هرب محمدٌ من مكة . كأنه يريد أن يجذب أنظار الناس كما في المسلسلات . فرد عليه الشيخ عبد الله خياط بمقال ، و علّمه أن يتأدب

مع النبي ﷺ ، و إن كان هذا الرجل من الأدباء ، و له مواقف طيبة في الدفاع عن الإسلام ، لكن ليس بهذا الأسلوب .

وتحدث كاتبٌ آخر عن رسول الله ﷺ في مجلة (المسلمون) في موضوع عن (كيف تحج و تزور ؟) ، و في كتابته غلو في الزيارة و شطحات عقدية ، و تعلُّق ، و استغاثة بالنبي ﷺ فرد عليه الشيخ عبد الله خياط -رحمه الله- كذلك بمقال .

كما أنه رد على خالد محمد خالد في مقالٍ له سخر فيه بأحاديث القدر .

و في صحيفة (المجتمع) ، و ليست مجلة المجتمع الكويتية ، نشرت أبيات فيها استغاثة بالنبي ﷺ بمناسبة المولد . فرد عليهم الشيخ ابن باز رحمه الله .

كذلك من المواضيع التي تصدّى لها العلماء بالرد ، و الإفتاء مسألة حكم من درس القوانين ، أو تولى تدريسها : تكلم عنها الشيخ ابن باز في فتاويه.

هيئة الإذاعة البريطانية كذبت على الشيخ ابن باز ، فادّعت أن الشيخ يكفر من يحتفل بالمولد النبوي ، فأصدر الشيخ بياناً قُرِئَ في المساجد و نشر في الصحف أنهم كذبوا عليه |، وأن من احتفل بالمولد قد ارتكب بدعة ، و لم يكفر .

و من صور وقفات العلماء في الفتن ، ما كان من التحذير من رشاد خليفة ، و هو أمريكي الجنسية عربي الأصل ، مهندس زراعي يخالف الإسلام ، و يسخر بالسُنة ، استهزأ بالأحاديث ، فرد عليه الشيخ ابن باز -رحمه الله- رداً مفصلاً في الفتاوى .

و حدث أن شاعراً كتب أبياتاً تتضمن شركاً أكبر ، و استغاثة بالنبي ﷺ و نشرها في صحيفة الرياض ، عدد (٦٠٠٣) ، فرد عليه الشيخ ابن باز رداً مفصلاً في المجلد الثاني ، صفحة (٤٠٥) من الفتاوى .

و من الفتن التي أشيع فيها الكلام ، و تصدى لها علماء السنة ، مسألة الصوفية وتفسير القرآن . فقد كتب أحدهم يبين أن التفسير بالرأي مذمومٌ ممنوع ، إلا لعلماء الصوفية ؛ فهم علماء الإشارات ، و الذوق ، و الذكاء ، و معرفة اللطائف . فرد عليه الشيخ إسماعيل الأنصاري -رحمه الله- ، و هو عالم من علماء مالي ، هرب بنفسه و دينه أيام الاستعمار الفرنس ، و قدم للحرم ، و درس في الحرم ، و صار باحثاً في الإفتاء ، و له بحوث طيبة ، فقمعه الشيخ بردٍ مشهور .

و للشيخ أيضاً كلام تفصيلي في الرد على تفسير (الكشاف) للزمخشري ، و أنه فاشلٌ حتى في اللغة ، و له ملاحظات عليه منها : العقيدة ، و اللغة ، و الشعر ، و المخالفات الفقهية .

بعض الناس إذا سمع هذه النماذج يقول : هو توجه الحكومة ، و الحكام يحرِّكون العلماء ليكتبوا . و هذا مسكين ، ما عرف من هم العلماء أصلاً ، و لا يدري أن بعض العلماء يكتب للناس ويكتب في الردود و يشتد على الحاكم أحياناً . و التاريخ حفل و سطّر مواقف السلف و المعاصرين مع الحكام ، لكن ليس المحرك للعلماء هو الحاكم . فإن وجد عالمٌ حرّكه حاكم فهذا قد يكون في جزئية واحدة ، أو شيءٍ معين ، لكن أن تكون تحركات العلماء هي لأجل الحكام ، لا . و ليتق الله من قال هذا .

من مواقف العلماء ، مواقفهم حول الأفكار الوافدة على البلاد . فقد عصفت بالعالم الإسلامي موجه من الإلحاد ، والاشتراكية ، و الشيوعية ، و انبهار الشباب لبعض الموجات . و قد خرج بعضها في وقت التصدي لها من العلماء . هؤلاء العلماء المتصدين لهذه الموجة كثر ، منهم :

الشيخ محمد رشيد رضا : له مقالٌ عن الإلحاد في صحيفة (أم القرى) عام ١٣٤٨هـ ، رد على الزنادقة و من قاموا بذلك و كشف أمرهم ، و رد على صحيفة السياسة الأسبوعية المصرية ، و وضح كل أساليبهم ، حتى

استخدام هؤلاء الملاحدة و الزنادقة لموضوع المرأة. و عبد الله القصيمي عندما أوشك أن يلُحد ، ثم ألحد ، كان يستخدم موضوع المرأة ، و يكتب حول ما يتعلق بإفساد المرأة .

محب الدين الخطيب : خال علي الطنطاوي ، و هو أحد علماء الشام ، سكن مصر، و حارب التنصير والتشيع و الخطط الصهيونية بالتأليف و الكتابة في المجلات و توعية الناس .

إحسان إلهي ظهير : أحد علماء الهند ، ألف ضد التصوف و التشيع ، و مذهب البهائية ، و الإسماعلية . قتل –رحمه الله– في مؤتمرٍ يضم علماء السُنة في باكستان ، ثم أسعف للسعودية ، و مات عندما وصل إلى السعودية ، و صلى عليه الشيخ ابن باز –رحمه الله– في الجامع الكبير بالرياض .

الشيخ عبد الرحمن الدوسري : حارب القوانين الوضعية ، و القانون البريطاني في الكويت ، و في البحرين . و الشيخ كان قد سكن الكويت .

لما انتهى الاستعمار البريطاني عن الكويت ، أرادوا أن يُسَّيروا البلاد بالسياسة ، ففكروا في طريقة لسياسة البلد ، فدعوا السنهوري أحد أساتذة مصر في القانون ، فهو الذي جمع لهم القانون الفرنسي و البريطاني ، و جمع لهم كل بلاءٍ . فما كان من الشيخ و عدد من علماء الكويت كالشيخ عبد الله النوري و غيره من علماء الكويت إلا أن قاموا بالتحذير ، و الخطب ، و الكتابات ، و ألف الشيخ عبد الرحمن الدوسري كتاباً فيه الرد على محكم

القانون . و كتب الشيخ عبد الله القرعاوي ، و هو في جيزان للشيخ ابن باز يقول : لو أنك يا شيخ تخاطب الملك سعود و أمراء المملكة أن يخاطبوا حكام الكويت أن يتقوا الله ، و لا يحكموا القانون ، و أن لا يدخلوا الفساد و الإفساد على بلاد المسلمين .

لكنهم لم يسمعوا مقالة ناصح ، فالشيخ عبد الرحمن الدوسري هُجِّر عن بلدهم ، و جاء إلى السعودية ، فكان متنقلاً ما بين القصيم و الرياض ، مع أنه عرضت عليه وزارة الإفتاء في الكويت ، و عرض عليه منصب رفيع في إحدى الوزارات في المملكة ، و قال : بل أكون حراً ، ما أحد يشتريني بماله. فكان –رحمه الله– يتنقل بين البلاد في الدعوة إلى الله –عز وجل–.

الشيخ محمد بن صالح بن سليم : له جهود في محاربة الأفكار الوافدة ، و له مقال في صحيفة (القصيم) بعنوان : (الاشتراكية كفرٌ بالله) . و له كتاب اسمه (الحق أحق أن يتبع) ، ثلاث مجلدات في التحذير من القوانين و القانون الوضعي بالتحديد في الكويت .

الشيخ ابن باز: له كتاب نقد القومية العربية . فقد انبهر كثيرٌ من الناس بدعاة القومية العربية و أن ما يجمعهم هو العروبة ، لا الإسلام . و دعاة هذه الدعوى من البعثية و الاشتراكية ، فكل شخص له أصولٌ عربية يدعو للقومية العربية ، من غير دعاة الإسلام . فينشرون أو يدعون إلى أحزابٍ علمانية ، أو قومية ، أو اشتراكية ، فيركضون خلفها كالأطفال عند اللعب ،

ثم يفلسون ، فيرجعون يبحثون عن شيءٍ آخر . و بعضهم يرجع إلى الدين.

و نماذج من هذا .

الشيخ محمد بن عثيمين : له كتاب طبع قريباً ، اسمه (الاشتراكية) ، تكلم عن الرد على الاشتراكيين ، و إن كان الكتاب قديماً ، لكنه طبع حديثاً .

جمع من علماء الأزهر : تصدوا للقوانين الوضعية بالرد و النقد و الفتاوى ، و قد جُمعت فتاوى علماء الأزهر في التحذير من القوانين الوضعية في كتيب (فتاوى علماء الأزهر في القوانين الوضعية) من منشورات جمعية أنصار السنة .

الشيخ محمد الأمين الشنقيطي : في مواضع من تفسيره (أضواء البيان) تحدث عن القوانين الوضعية و التحذير منها ، و قال في قول الله –عز وجل–: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام:١٢١] : فإذا كان هذا في طاعتهم في جزئية من الطعام : ﴿إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام:١٢١] ، فكيف بمن استبدل دين الله تعالى و أقصاه جانباً ، و وضع مكانه القانون الفرنسي ، البريطاني ، و الأمريكي .

عددٌ من علماء آل الشيخ : كتبوا بياناً قديما ، قبل نحو مائة سنة ، يحذرون من تحكيم القوانين لبعض حكام بلادنا .

الشيخ سليمان بن سحمان الخثعمي : من علماء الجنوب ، لكنه انتقل للرياض، و تعلم عند العلماء ، و صار من كبار العلماء. ألف رسالة في التحذير من القوانين الوضعية .

الشيخ محمد بن إبراهيم : له رسالة (تحكيم القوانين) .

الشيخ علي الصالحي : من تلاميذ الشيخ السعدي ألف كتاباً ، و قدم له الشيخ عبد الله بن حميد .

من أحوال العلماء و طرقهم وقت الفتن : احتواء الشباب . و الشباب عندهم ثورة ، و حماسة ، و ثورة أعصاب أحياناً . و لذلك تقول العرب في حكمتها : (عليك بقوة الشباب ، و رأي الشيوخ) . و الشباب شعبةٌ من الجنون كما قال بعضهم . فبعض الشباب يتراءى له الشيء أنه هو الحق و الصواب ، فإذا ذهب للعالم و احتواه ، و بيَّن له أن هذا الطريق خطأ ، فبعضهم يرجع إن كان يُقدِّر العلماء و نشأ على تقديرهم ، فيرجع ، كالأب إذا منع ابنه الصغير من شيءٍ فيه مضرة عليه .

إذا جاء بعض الشباب من المتحمسين لسماحة الشيخ ابن باز يكلمونه عن منكر من المنكرات ، فإنه يشجعهم و يشكرهم ، و يقول لهم : اكتبوا لي في هذا ، و الذمة لا تبرأ حتى تكتبوا ، بمعنى أنه لا يقبل الكلام فقط من غير واقع ، إنما يطلب من المُنكِر أن يكتب له خطاباً ، فيشرح عليه الشيخ ، ثم

يرسله للمسئولين . و كم رد الله –عز وجل– من منكرات كان من أسباب ردها هذا العلم الجبل –رحمه الله–.

جاء بعض الشباب المتحمسين للشيخ صالح البليهي –رحمه الله– ينكرون عليه استشهاده بمقالة رجل في ضمن كتبه ، مقالة رجل ليس من أهل السُنة ، فأساءوا معه الأدب و اشتدوا عليه ، و بعضهم بدأ يلوح بيده عند وجه الشيخ ، فأكرمهم الشيخ و أهداهم من كتبه ، ثم بيَّن لهم أن الاستشهاد بمقالة رجل هي مقالةٌ صحيحة من شخصٍ مخطئ أو مبتدع ، و لا تضر في الدين ، و الحكمة ضالة المؤمن ، و هي مقالةٌ صحيحة. فخرجوا يشكرون الشيخ .

من صور الحرص على قرب الشباب من العلماء : مقالة الشيخ علي الهندي ، و هو أحد علماء حائل ، كان مدرساً في المسجد الحرام ، و له مقالات في بعض الصحف السعودية ، منها مقالٌ بعنوان : (ليس لنا أن نترك الفجوة تتسع بين الشيوخ و الشباب) ، و فيها : إن نعطي الشباب بعض ما يتطلبون ، و نقترب منهم قبل أن ينفلت الزمام . و هذا المقال عام ١٣٨٣هـ .

و من الصور : ذهاب الشباب و زياراتهم زرافات و وحدانا للشيخ عبد العزيز بن باز و الشيخ محمد بن عثيمين ، و الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ، و الشيخ بن جبرين .

كذلك الشيخ عبد الرحمن الدوسري من أهم ما يتميز به على كبر سنه و ما يعتليه من أمراض ، و انشغاله بالدعوة و التجارة ، و مناهضة المنكرات ، إلا أنه محبٌ للشباب ، يجالسهم ، و يربيهم على عينه –رحمه الله– ضد الأفكار المنحرفة .

الشيخ محمد الخضر حسين : أحد علماء تونس ، رد على طه حسين في كتابه (الشعر الجاهلي) ، و الذي يدعو فيه لتنقص اللغة العربية . و هذا من رد الأفكار المنحرفة ، و إن كان شيء يتعلق باللغة ، لكن رد هذا العالم الشيخ محمد الخضر حسين على طه حسين ، و كذلك رد على مصطفي عبد الرزاق في كتاب (الإسلام و أصول الحُكم) ، وهو يدعو لنبذ الإسلام ، و تحكيم العلمانية ، و هو عُمدة لأهل العلمنة ، و من يدّعي التنوير الإسلامي . فرد عليه الشيخ محمد الخضر حسين قديماً .

و الشيخ عبد الرحمن السعدي واجه موجة الإلحاد التي ضربت في أرجاء الوطن الإسلامي في ذلك الزمن ، فكان له ثلاثة مؤلفات عن موجة الإلحاد ، و كتب رسالة و مناصحة للشيخ محمد رشيد رضا يخبره أنه يقرأ مجلة المنار ، و الشيخ محمد رشيد رضا كان حريصاً على أن يقرأ علماء هذه البلاد مجلة (المنار) ، التي تصدر في مصر ، و أرسل عشر نسخ للملك عبد العزيز ، و قال : وزعها على من شئت من العلماء ، و أريد أن تخرجوا لي ما فيها من نقد ، فتبين للشيخ محمد رشيد رضا ما وصله من النقد . و تبيّن

بعد ذلك أن بعض العاملين في الجمارك من البريطانيين كانوا يحبسون هذه المجلة ، فكان من يذهب لمصر يأتي بها معه للمملكة تهريباً . فكتب الشيخ عبد الرحمن السعدي لمحمد رشيد رضا –رحمهم الله جميعاً– يثني على المجلة و أنه قرأها و ما فيها من فوائد و علم، و قال : لو أنكم كتبتم فيها في الرد على موجة الإلحاد التي عصفت بالمسلمين .

و من أثر هذه الرسالة ، كانت لمحمد رشيد رضا مقالات في الرد على الإلحاد ، هذا من تأثره برسالة الشيخ عبد الرحمن السعدي . و كذلك رد الشيخ السعدي على عبد الله القصيمي لما ألحد . و رد الشيخ إبراهيم السويّح على القصيمي لما ألحد ، و رد الشيخ عبد الله بن علي بن يابس على القصيمي لما ألحد .

و من معالم تصدي العلماء للفتن و مواقفهم منها : الدفاع عن البلاد ضد المحتل و ضد المستعمرين . فالعلماء ليسوا فقط في الدروس و المساجد ، و الحلقات ، و الزوايا . و من هؤلاء :

الشيخ العلامة محمود شكري الألوسي ، علّامة العراق . لما هاجم الإنجليز بلاد العراق ، قام بتحريك القبائل ، و أهل السنة و الشيعة ؛ لأنه من آل البيت ، و له أثر، و له مناظرات مع علماء الشيعة ، فكان–رحمه الله– يقوم بتأليبهم و تحريكهم ضد الإنجليز ، فلم يقم معه إلا قلة ، ما بين خيانات

قبائل و أناس من المخالفين ، حتى سقطت بغداد سنة ١٣٣٥هـ ، و ما أشبه الليلة بالبارحة .

الشيخ علي الطنطاوي -رحمه الله- رد الفرنسيين في بلاد الشام ، يقول : والله ما سلمناهم منذ حاربناهم ، و كان يجمع الشباب في طرقات دمشق ، و يخطب بهم خطبة و يحرضهم ضد الفرنسيين ، مع أنهم محتلين للبلد. فيقومون بالمواجهات ، و يُقتل من يُقتل ، و له عبارات -رحمه الله- سواءً مكتوبة أو بصوته ، في الكلام عن تأييد الثورة الجهادية ، أو المجاهدين ضد الاستعمار الفرنسي في بلاد الشام ، و قام معه غيره ، لكنه كان خطيباً مؤثراً -رحمه الله- . و يذكرنا ذلك بقيام شيخ الإسلام ابن تيمية ضد التتار ، فكان شيخ الإسلام يقوم و يذهب للحكام و رؤساء القبائل ، و العلماء و يحرضهم من بلاد الشام ، و مصر ، و أطراف العراق ، من صحراء العراق ، و لم يجد إلا القليل . فقام-رحمه الله-هو بالقتال .

و أما سيرة ابن تيمية فهيمن ضروب العجب و الخيال -رحمه الله- فبعضهم يقول : رأيت شيخ الإسلام في القتال ضد التتار ، رأيته كالأسد يمشي بين الصفوف ، و يحرضهم على القتال ، و يفسر لهم سورة الأنفال ، و يأمرهم بالفطر في نهار رمضان ، و يقول : و الله لينصرنا الله . فقالوا له : يا شيخ ، قل : إن شاء الله . فيجيبهم : إن شاء الله تحقيقاً ، لا تعليقاً .

و محمد بدر الدين الحسني : من علماء الشام ، كان يحرض أيضاً الناس ضد الفرنسيين ، و قد توفي سنة ١٣٥٦هـ .

و الشيخ عبد الحميد بن باديس : فسر القرآن كاملاً في الجامع الكبير في الجزائر ، ثم بعدما ختم القرآن قام بالجهاد ، فكان من أسباب طرد الفرنسيين عن بلادهم ، حتى مات –رحمه الله– ١٣٥٤هـ .

و محمد الخضر حسين : من علماء تونس ، و تولى مشيخة الأزهر ، و هذا من النوادر ، و لم يسبق إلى ذلك أحد . فلا يوجد أحد من العلماء ممن تولى مشيخة الأزهر من غير مصر . توفي عام ١٣٧٧هـ ، كان ضد الاستعمار الفرنسي في بلاده ، وكان مما يقول :

ليالٍ قضيناها بتونس ليتها   تعود و جيش الغاصبين طريدُ

و محمد البشير الإبراهيمي : من علماء الجزائر ، كان مهتماً بالثورة ضد الفرنسيين في الجزائر ، و يزور علماء المملكة ، و يخاطب الحكام ، و يكتب للشيخ محمد بن إبراهيم ، و يذكرهم بالله تعالى أن يقوموا مع الثورة و المجاهدين في الجزائر ضد فرنسا . ثم جاء على كبر سنه للمملكة ، و جالس العلماء و الشيخ محمد بن إبراهيم و الملك سعود . و تحدث مع الملك سعود على انفراد عن المجاهدين و نصرة المجاهدين في الجزائر . و بعد ذلك أنشأ الملك سعود مصنع الخرج للأسلحة ، و هو موجود اليوم ، و أول ما بدأ هذا المصنع كان لدعم المجاهدين في الجزائر فقط ، ثم استمر في تصنيع و

تصدير الأسلحة ، و استمر الدعم المالي و المعنوي من الحكومة و العلماء . ثم انتقل الشيخ محمد البشير الإبراهيمي على كبر سنه من الجزائر إلى ليبيا لتحريض الناس و تحريكهم ضد الفرنسيين ، ثم ذهب إلى تونس ، و كل ما ذهب لبلد يتكلم عن فلسطين و عن تحرير الجزائر .

من أبرز سمات العلماء و مواقفهم : المبادرة لفعل الخير و حث أبناء المجتمع عليه . من ذلك أنه حين جاءت مكبرات الصوت لبلادنا استشكل كثيرٌ من الناس حكمها ، و أن فيها شيءٌ من المخالفة أو البدعة أو خلاف ما عليه النبي ﷺ . فبادر بوضعه الشيخ السعدي في الجامع الكبير ، فاتصل بأحد تجار عنيزة ليوفر لهم المكبر ، و تكلم الشيخ في فتوى عن هذه الآلات و انتفاع الناس بها ، و الشيخ عبد الرحمن السعدي سبق الناس بالقول بجواز نقل الأعضاء قبل المجامع الفقهية . فمما يذكر و يحمد للشيخ أنه من أول من تحدث عن هذا الموضوع ، و نزل أقوال الفقهاء على هذه المسألة المستجدة ، و قد ذكر ذلك تلميذه الشيخ عبد الله البسام ، و أن الشيخ قال ذلك في مجمع الفقه الإسلامي ، و أن فعل الشيخ نال إعجاب العلماء .
و يقول الشيخ ابن عثيمين عن الشيخ السعدي : لو كانت عنده الوسائل الموجودة الآن في التواصل ، و التسجيل ، و النقل لصارت شهرته أوسع ،

و أتى بطريقةٍ في شرح الكتب كطريقة الشيخ الأمين الشنقيطي ، يريد بمحمد الأمين الشنقيطي غير محمد الأمين صاحب (أضواء البيان).

و قد يحصل بعض الاضطراب في مسائل حادثة ، فيجيب العالم . من هذا مسألة (صعود القمر) :

لما انتشرت مسألة صعود القمر قبل سنواتٍ بعيدة كتب الشيخ ابن باز فيها فتوى و رسالة ، و كذا الشيخ ابن عثيمين تكلم عنها ، و في مقال كتب الشيخ عبد الله خياط عنها . و قد خاض بعض الناس في المشايخ و العلماء بأنهم قاصروا الفهم عن هذه المسألة . فلما كتب هؤلاء العلماء مثل هذه المقالات و الفتاوى سكت عددٌ من الناس من العقلاء ، و أن المسألة ليس فيها إثبات و لا نفي . و هذه خلاصة بحث الشيخ ابن باز أن ليس فيها إثباتٌ و لا نفي ، و إن كان بعض العلماء يمنعها . من ذلك أني سمعت الشيخ عبد الله بن غنيمان ينقل عن شيخه محمد الأمين الشنقيطي صاحب (أضواء البيان) يقول : إن كان أحدٌ صعد القمر فأنا لا أعرف شيئاً في كتاب الله .

و لما جاء المدفع ، و هو الذي من خلاله يخبر الناس بالفطر و الصوم ، أشكل على بعض الناس ، و أن المدفع غير ثقة ، و أن الإخبار عبر

التلسكوب و الوسائل القديمة ليس بثقة ، و لا نصوم أو نفطر بناءً عليه.
فأفتى الشيخ السعدي بصحة الصوم و الفطر بها ، أو بسببها .
و كذلك الشيخ عبد الله بن حميد ، استخدم مكبر الصوت في الجامع الكبير ببريدة .

مواقف العلماء في الثبات و القتال :

الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ، ابن الإمام ، قام ضد حملة إبراهيم باشا على للدرعية سنة ١٢٣٣هـ .

و استمر الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب و معه قلة يقاتلون ضد إبراهيم باشا ، و يخاطبون بعض العلماء ، و بعض القبائل .فخذلهم بعض الناس ، و المنافقين ، كما سمى الشيخ في رسائله ، و بعض العلماء قالوا ذلك ، و البعض أخذ بعض المال من حملة إبراهيم باشا ؛ ليخذل قومه ، فاستحلوا دمائهم . ففي فترةً وجيزة ، في يوم واحد ألقوا ثلاثمائة قذيفة على بلدة (شقرا ء)، و في أيامٍ معدودة ألقت تلك القوات خمسة ألاف قنبلة على بلدة (الرس) في أيامٍ معدودة . فالشيخ قام و من معه بالقتال ، و حرضوا الناس . فقبض على ابنه العلامة سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ، صاحب كتاب (تيسير العزيز الحميد) ، وقد قتل –رحمه الله– بعد ما انتهى من باب (ما جاء في القدر) ، و هذا من الموافقات

اللطيفة –رحمه الله– . فقبض عليه و هو في الثلاثين من عمره ، أرادوا أن يذعن والده للحملة ، و أن يكف الناس عن القتال . فلم يتراجع الأب ، و لا الابن .

و يقول الشيخ سليمان بن عبد الله : معرفتي برجال الحديث أكثر من معرفتي برجال الدرعية ، أي بلدتهم ، القرية الصغيرة . فهو عالم من علماء الحديث . فلما أُتي به عند المقبرة ، حُفر له قبر ، و كان مكتفاً ، و أتوا بالموسيقى لتضرب عنده ليغتاظ قبل أن يموت . و هو صابرٌ لا يتحرك ، و لا يهتم . فرمي بالبنادق ، فمات – رحمه الله – . فأتوا لوالده الشيخ عبد الله ، فقالوا له : قتلنا ابنك يا عجوز .

قال الوالد لهم : لو لم تقتلوه لمات . فهو صابرٌ محتسب ، و لم يتغير –رحمه الله– ، و لم يتراجع .

فلما رجع إبراهيم باشا ، و انتهى من الحملة ، جاء بعض المنتفعين ، و بعض من يتسمى بالعلم ليهنئه بقصف الوهابية و قتلهم . طردهم إبراهيم باشا ، و قال : لقد رأيت العلماء حقاً في نجد . و هذا كلام إبراهيم باشا في تاريخ الجبرتي المؤرخٌ المصري ، و مازال في همٍ و غم بعد قتله لسلمان بن عبد الله ، و بعدما حصل منه في بلدة الدرعية ، في الحملة ذاتها حاصر بلدة شقرا ، و آذى أهلها ، و وشى المنافقون بأهل العلم .

و بالمناسبة في الاحتلال الفرنسي لبلاد الشام ، كان يكتب متألماً الشيخ ابن بدران الحنبلي الدومي الشامي ، كان يكتب للشيخ الآلوسي قائلاً : و الذين كانوا يدلون الفرنسيين على عوراتنا و أعراضنا و أموالنا عُبّاد القبور ، حتى نفهم ، و أن لا نقول عنهم صوفية ، معهم مسابح ، مساكين ، و دراويش ، لا . و هم عند الاحتلال يرقصون و يفرحون ، و بعضهم قدرية أصلاً . و الذي مسك بزمام دابة (هُولاكو) هو ابن سبعين الصوفي ، الذي رد عليه ابن تيمية ، يقول ابن سبعين : لأننا نؤمن بالقدر ، و لا نعارض القدر . فهم (قدرية) على خبثٌ فيهم أصلاً يتعلق بوحدة الوجود . و أن كل ما يأتي ، و ما يحصل هو الله ، و من الله . فهولاكو هو الله عند ابن سبعين و غيره .

و بالعودة إلى حملة إبراهيم باشا ، وشى المنافقون بأهل العلم في شقراء ، و أخبروا إبراهيم باشا أن الشيخ عبد العزيز الحصين ، و هو من علماء تلك البلدة ، من المعارضين لحملة إبراهيم باشا . فأُتي به و هو على دابة كبير السن ، و قد تتلمذ الشيخ عبد العزيز الحصين على إمام الدعوة محمد بن عبد الوهاب ، و تولى القضاء ، و ناظر بعض صوفية مكة . فقال الشيخ الحصين –رحمه الله– ، و قد أُخذ لقوته و شكيمته ، فقال له : يا إبراهيم ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ ر[الشورى:٤٠] .

قال له : تدعوني بإبراهيم . فقال الشيخ : نعم ، فالله –عز وجل– سمى أنبياءه بأسمائهم ، و أنت لست مثل الأنبياء .

و كان إبراهيم باشا قد أحتل البلدة ، و قتل بعض أهلها و علمائها ، و احتل البلد ، و يريد أن يصفي من تبقى .

فقال له إبراهيم باشا : ما تقول فيَّ أيها العجوز . فقال الشيخ : أنت غاشية من عذاب الله ، سلطك الله علينا بذنوبنا . أما تخاف الله و تخشاه ، و تخشى العقوبة إذا وقفت بين يديه . عليك بسبيل العفو ، فقال له الشيخ : اسلك سبيل العفو عن أهل البلد .

فقال إبراهيم باشا : عفونا عنهم يا عجوز . فخرج من البلدة .

و لما ذهب لبلدة (الرس) بعد الدرعية ثم شقراء . قام الشيخ قرناس القرناس ، و هو من علماء و قضاة بلدة الرس ، قام مع تلاميذه ، و مع الناس في القتال ضد هذه الحملة .

و كان إبراهيم باشا قد تعب من الدرعية ، و تعب من شقراء ، ثم جاء لأهل الرس ، و أُخبر أنّ الشيخ متمرس في القتال ، و كان يدرب الناس على القتال ، و يحفرون الخنادق ، و آثار ذلك موجودة إلى اليوم . فخطب الشيخ قرناس خطبة ، و قد قيل له إن إبراهيم باشا سيحضر الخطبة، كأنه يريد الصلح بعد ما قاتلوا قتالاً ألقى فيه خمسة ألاف قنبلة في أيام قلائل ، فما استسلم الناس ، فلجأ إلى الصلح . فحضر الخطبة عند الشيخ بأمن و

أمان . قال الشيخ : لك الأمان أن تحضر ، و لا تُقتل . فحضر إبراهيم باشا الخطبة ، و تكلم الشيخ عن الجهاد و القتال . و بعد ذلك طلب إبراهيم باشا الصلح سريعاً ، ثم صالحهم و غادر البلد غير مأسوفٍ عليه ، فعليه من الله ما يستحق .

من أهم و أبرز مواقف العلماء ، دورهم في الخلافات السياسية ، منهم : الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب ، من أجداد وزير الأوقاف الشيخ صالح آل الشيخ – وفقه الله – . له جهودٌ في جمع الكلمة و حقن الدماء .

لما وقع الخلاف بين أبناء الإمام فيصل بن تركي ، جد الملك عبد العزيز ، حصل خلاف بين ابنيه عبد الله و سعود . فكان يكتب و يجمع الكلمة ، و ينكر على سعود ؛ ذلك أن سعود كان له أشخاص موالون من أهل الجنوب على أخيه عبد الله ، فالشيخ كان يجمع بينهم ، و ينكر عليهم ، و ينكر على سعود . و له مواقف كثيرة ، و رسائل موجودة .

أيضاً في تلك الأحداث بين أبناء الإمام فيصل بن تركي ، تكلم الشيخ حمد بن عتيق –رحمه الله– بكلام فيه شدة ضد سعود بن فيصل بن تركي ؛ لأنه نازع أخاه و خرج عليه . فهذا دور العلماء في النزاعات السياسية .

مراسلات العلماء فيما بينهم في زمن الفتن و تأييدهم :

كانت المراسلات قائمة بين الشيخ حمد بن عتيق و صديق حسن خان القنوجي الحسني ، و هو من حكام و علماء الهند ، فأرسل الشيخ له يشكره على بذل العلم ، و التأليف ، و يحثه على الاستمرار في نشر العلم و السُنة في بلاده . و يطلب أن يشرح له نونية ابن القيم .

كذلك الرسائل المتبادلة بين الشيخ صالح القاضي ، و تلميذه الشيخ السعدي مع محمد بن رشيد رضا .

من الفتن التي انتشرت بين العامّة : فتنة القبور:

لما أمر الملك عبد العزيز بإزالة الأضرحة و القبور في البقيع عام ١٣٤٤هـ ، كان قد أرسل لهم الشيخ عبد الله بن بليهد ، و هو أحد القضاة العلماء ، فكان يناقش علماء المدينة ، و وجّه لهم الشيخ عدة أسئلة حول ما يتعلق بإقامة الأضرحة على القبور ، و الأدلة ، و الشبهات ، و ناقشهم في ذلك فأذعن له علماء المدينة ، لكن قام ضد الشيخ علماء الرافضة و الصوفية ، و ألّفوا الرسائل ، و مازالوا يتباكون على البقيع . فأصدر علماء المدينة فتوى جماعية بإزالة هذه الأضرحة ، و قرروا مذهب أهل السُنة و الجماعة . فذهبت الفتنة ، و نامت .

و من العلماء من المذاهب الأربعة الذين كتبوا ، و أفتوا بإزالة الأضرحة : الشيخ إبراهيم بري من علماء المسجد النبوي ، و الشيخ ألفا هاشم ، و الشيخ محمد بن تركي .

متفرقات

الدكتور أحمد كمال كتب في جريدة (الندوة) متحدثاً حول تلوث ماء زمزم فقال : قسماً بالله ، لو يقدم لي ماء زمزم لا أشربه ، و لو أعطيت مال قارون على أن أخذ منه معلقة ما شربت . و يقول : و قد عُرض عليّ الشرب منه لما حججت ، فرددته و لله الحمد . و هذا في مقال في جريدة الندوة السعودية . فالفساد قديم في الصحف . لذلك ، أذكر الصحف ، حتى لا يقول بعض الناس أننا نتحدث فقط عن بلاد الشام ، أو مصر ، أو لا نتحدث عن فساد صحفنا .

فرد على أحمد كمال الشيخ صالح العثيمين ، و هو أحد علماء الحنابلة من أهل بريدة ، سكن في مكة ، و ليس له قرابة بالشيخ ابن عثيمين العالم المعروف ، و لكنه محقق ، و من علماء الحنابلة . فالشيخ رد عليه ، و ذكر اثنين من العلماء ممن لديهم خلط في المسألة فيما يتعلق بشرب ماء زمزم ، من

العلماء المعروفين المذكورين في المقال الوارد في الصحيفة . و تحدث الشيخ عن أن ماء زمزم ماء مبارك ، و رد على بعض كلام أحمد كمال في هذا الأمر .

و حاول الشيخ عبد الله بن زاحم ، المتوفي سنة ١٣٧٤ هـ ، حاول إزالة الزخارف من المسجد النبوي ، و هو إمام المسجد النبوي . و رتب مع الحكومة ، و خاطب علماء المدينة ، حتى تزال جميع الزخارف التركية التي أمر بها السلاطين السابقين . فواجه الشيخ معارضات ، و حرك المعارضون أقلامهم ، و كادت أن تكون فتنة ؛ لأنهم يعظمون مثل هذه الآثار أشد مما لو أن الشخص سب الله و رسوله .

و يلحظ أنه عند انتشار الرسوم السيئة المسيئة للنبي ﷺ لا يقوم في الردود إلا أهل السُنة و الجماعة . أما الصوفية فلا يحركون ساكناً ؛ لأن الأمر عادي عنهم ، فأحدهم يقول : الرسول يدافع عن نفسه . و هو أحد أقطاب الصوفية يقول : الرسول يدافع عن نفسه ؛ لأنه يعتقد أن الرسول حي. و هذه مسألة عقدية . فلما قام الناس و ضجوا حول هذا الموضوع ، و حركوا بعض من لهم شأن في المدينة . خاطبت الحكومة الشيخ عبد الله بن زاحم أن يترك هذا الأمر .

و هذا الشيخ عبد الله القرعاوي –رحمه الله– كان يمشي في سكك عنيزة آمراً ، و ناهياً ، و يطرق الأبواب موقظاً الناس لصلاة الفجر .

نصرة البلد المظلوم:

لما وقع العدوان الثلاثي على مصر من بريطانيا و فرنسا و اليهود ، خطب الشيخ عبد الرحمن السعدي خطبة في أواخر حياته ، قبيل وفاته متأثراً بما حصل لمصر ، و دعا للجهاد في سبيل الله . و الخطبة موجود في خطب الشيخ . ثم أرسل الخطبة لصحيفة اليمامة فنشرت في عام ١٣٧٦ هـ قبيل وفاة الشيخ .

الشيخ عبد الله بن حسن آل الشيخ له فتوى في وجوب الجهاد على جميع المسلمين ضد اليهود ؛ لتخليص المسجد الأقصى ، و قد نشرت في صحيفة (أم القرى) ، و الشيخ كان رئيس القضاة و رئيس شئون الحرمين .

و في عام ١٣٨٦هـ ، حج الشيخ أبو الأعلى المودودي ، و كان شغله الشاغل في الحج التعريف بقضية كشمير . و الشيخ كان من المعارضين لانفصال كشمير ، و كان ممن يدعوا إلى رجوع كشمير لبكستان . و أنها أقرب لها . فأوذي في بلده الهند . فكان الشيخ يُعرف بهذه القضية ، و يوزع

كتباً في الحج باللغات العربية ، و الإنجليزية ، و الفرنسية . و هذا اهتمامه . و مازالت قضية (كشمير) معلقة ؛ لأن الذين فيها من المسلمين سُنة مستضعفين ، فلو كانوا من السنة و عندهم خلط ، أو عندهم شيء من أعمال التصوف ، أو مسلمين عندهم خلافات عقدية ، لوجدوا من ينصرهم .

إنشاء المجلات الدعوية و الكتابة في الصحف :

العلماء تحدثوا كثيراً ، و كتبوا كثيراً في هذه الوسائل ، و من الأمثلة :

الشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم آل الشيخ ، أخو الشيخ محمد بن إبراهيم ، أصدر مجلة (راية الإسلام) ، و كان رئيساً لها فترة من الزمن ، ثم خلفه الشيخ صالح اللحيدان – وفقه الله – .

و الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ ، أخو الشيخ عبد اللطيف ، أصدر مجلة (الدعوة) ، و لا زالت تصدر إلى الآن .

الشيخ عبد الرحمن الدوسري ، أصدر مجلة (المجتمع) الكويتية القائمة إلى الآن ، و مجلة (البعث الإسلامي) في الهند . و كان الشيخ يشترك في عدة مجلات ، و يوزعها . و قد وصلت بعض الاشتراكات من حسابه إلى مائتي مجلة ، و يوزعها .